

القسم الخامس

متفرقات من نوادر العشاق

نصيب وزينب

قال الضحاک بن عثمان الخزامی: خرجت آخر الحج فنزلت بخيمة الإيواء على امرأة فأعجبنى ما رأيت من حسنها، فتمثلت بقول نصيب:

وزينب ألم قبل أن يرحل الـركبُ	وقل إن تملينا فما ملك القلبُ
وقل في تجنيها لك الذنب إنما	عتابك من عاتبت فيما له ذنب
خليلي من كعب ألما هديتما	بزینب لا يفقدكما أبدًا كعب
وقولا لها ما في البعاد لدى الهوى	بعاد وما فيه لصدع النوى شعب
فمن شاء رام الصرم أو قال ظالمًا	لصاحبه ذنب وليس له ذنب

فلما سمعت هذه الأبيات قالت: يا فتى أتعرف قائل هذا الشعر، قلت: نعم ذلك نصيب، قالت: نعم هو ذاك، أتعرف زينب، قلت: لا، قالت: أنا والله زينب، قلت: فحياك الله. قالت قد خرج نصيب إلى أمير المؤمنين منذ عام أول ووعدني بالمجيء هذا اليوم ولعلك لا تبرح حتى تراه، فما لبثت أن رأيت من بعيد قادمًا يخب به الحصان خبًا، فقالت: أرى ذلك الفارس أنى أحسبه إياه، ثم أقبل الراكب من جهة الخيمة فإذا هو نصيب، فنزل وسلم علىّ وجلس إلى ناحية وسلم عليها وساءلها وساءلته، فجعل يشدها من حديث شعره ولطيف نظمه، فقلت في نفسي: عاشقان أطالا التناهي فلا بد لهما من خلوة يرتاحان إليها، فقممت إلى راحلتي أشد عليها، فقال لي: على رسلك أنا معك، فجلست حتى نهض ونهضت معه، فتسايرنا ساعة ثم ألفت إلى فقال: قلت في نفسك مجبان التقيا بعد طول تناء فلا بد لأحدهما من حاجة إلى صاحبه، قلت: نعم هو ذاك، قال: لا ورب الورى ما جلست منها مجلسًا قط أقرب من مجلسي الذى رأيت ولم يك بيننا غير الشرف والعفاف.

ابنة والى مصر وأحد عمال أبيها

قال الحسين بن زيد: ولى بديار مصر وال فوجد على بعض عماله فحبسه
وقيده، فأشرفت عليه ابنة الوالى فهويته، فكتبت إليه وقد كان نظر إليها:

أيها الرامى بعيني ه وفى الطرف الحتوف
إن ترد وصلأ فقد أم ككك الطبى الألفوف

فأجابها الفتى:

إن ترينى رانى العيب نين فالقلب عفيف
ليس إلا النظر الفا تر والشعر الطريف

فكتبت إليه:

قد أردناك على عش قك إنسانأ عفيفأ
فتأببت فلا زل ت لقيديك حليفأ

فأجابها الفتى:

غير أنى خفت ربأ كان بى برأ لطيفأ
فداع الشعر وبلغ الخبر الوالى، فدعا به فزوجه إياها ودفعتها إليه.



غورك المجنون وإسحاق بن إبراهيم

قال إسحاق بن إبراهيم: رأيت غورك يوماً خارجاً من الحمام والصبيان يؤذونه،
فقلت: ما خبرك يا أبا محمد؟ قال: قد آذانى هؤلاء الصبيان، أما يكفينى ما أنا
فيه من العشق والجنون، قلت: ما أظنك مجنوناً، قال: بلى والله وبى عشق
شديد، قلت: هل قلت فى عشقك وجنونك شيئاً، قال: نعم وأنشد:

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو فهذا له حدٌ وهذا له حدٌ
هما استوطنا جسمى وقلبى كلاهما فلم يبق لى قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا على مهجتى ألا يفارقها الجهد
فاى طيب يستطيع بحيلةٍ يعالج من داءين ما منهما بد

عزة الميلاء والناسك عند أبي جعفر

بلغ عبد الله بن جعفر خبر جارية بديعة الصوت مع نخاس في المدينة فبعث إليه وابتاعها منه، فجاءه يوماً ناسك من المدينة كان يتردد إليه غالباً فسمع الجارية تغنى: «بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعاً»، فما كاد يسمع صوتها حتى نحر مغشياً عليه، فأمر ابن جعفر فنضح على وجهه، فلما أفاق قال له: أكل هذا بلغ بك عشقها، قال وما خفى عليك أكثر، قال: أفتعرف لمن هذا الصوت، قال: لا، قال: هو لعزة الميلاء أو تحب أن تسمعه منها، قال: قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أعرفها فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكها، قال: أفتعرفها إن رأيتها، قال: أو أعرف غيرها، فأمر بها فخرجت، وقال: خذها فهي لك والله، فقبل الرجل يديه، وقال: أتمت عيني وأحييت نفسي وتركتني أعيش بين قومي ورددت إليّ عقلي أيها الأمير.



شهاب الدين وفاطمة ابنة الخشاب

كتب شهاب الدين بن فضل الله قاضي القضاة يوماً إلى فاطمة ابنة الخشاب يقول:

والوصل ممتنعٌ مع الزوارِ
من ناظريّ بمطمح الأنظارِ
من بعد ما وخط المشيب عذارى

هل ينفع المشتاق قرب الدارِ
يا نارلين بمهجتي وديارهم
هيجتم شجنى فعدت إلى الصبا
فأجابته فاطمة بهلدين البيتين:

فالقبح في تلك المحاسن وارِ
أنى يقاس جداول ببحارِ

إن كان غركم جمال إرارِ
لا تحسبوا أنى أمائل شعركم

فلما بلغنا شهاب الدين وجدهما الفاظاً درية بمعانٍ عبقرية فاعتبرها وأجلها وصار يكاتبها مكاتبة العلماء.

ابن دائب وجارية أخته

عشق ابن دائب جارية كانت عند أخته، وكان سبب عشقه إياها أنه رآها في منامه فأصبح مستطاراً عقله ساهياً قلبه، فلم يزل كذلك حيناً لا يزداد إلا حباً ووجدًا حتى أنكر ذلك أهله وأعلموا عمه عما كان له، فسأله عن حاله، فلم يقر له بشيء، وقال: علة أجدتها في جسمي، فدعا له أطباء الروم، فعالجوه بضروب من العلاج، فلم يزدده علاجهم له إلا شرًا وامتنع عن الطعام والكلام، فلما رأوا ذلك منه أجمعوا على أن يوكلوا به امرأة فتسقيه الخمر حتى يبلغ منه دون السكر، فإن ذلك يدعوه إلى الكلام والكشف عما في نفسه، فقرر رأيهم على ذلك، وأعلموا عمه ما اتفقوا عليه، فبعث إليه بقينة يقال لها حمامة ووكل به حاضنة كانت له، فلما أن شرب الفتى غنت الجارية أمامه، فأنشأ يقول:

دعوني لما بي وانهضوا لكلاءة من الله قد أيقنت أن لست باقيا
وأن قد دنا موتي وحانت منيتي وقد جلبت عيني على الدواهيا
أموت بشوق في فؤادي مبرح فيا ويح نفسي من به مثل ما بيا

فسارت القينة والحاضنة إلى عمه فأخبرته الخبر، فاشتدت له رحمته فتلطف في دس جارية من جواربه إليه، وكانت ذات أدب وعقل فلم تزل تستخرج ما في قلبه، حتى باح لها بالذي في نفسه، فصارت السفير فيما بينه وبين الجارية، وكثرت ما بينهما الكتب، وعلمت أخته بذلك فانتشر الخبر فوهبتها له فبرأ من علته وأقام على أحسن حال.

أبوريحانة وحاملة القرية

قال الأصمعي: مررت بالبصرة بدار الزبير بن العوام فإذا أنا بشيخ من ولد الزبير يكنى أبا ريحانة ما عليه إلا شملة تستره، فسلمت عليه وجلست إليه أحدثه، فبينما أنا كذلك إذ طلعت علينا جارية حسناء تحمل قرية، فلما نظرها لم يتمالك أن

قام إليها ثم قال: أيتها الفتاة غنى لى صوتاً، فقالت: إن موالى أعجلونى، قال: لا بد من ذلك، قالت: أما والقربة على رأسى فلا، قال: فأنا أحملها، فأخذ القربة وحملها على عنقه، واندفعت الجارية فغنت:

فؤادى أسير لا يفك ومهجتى	تقضى وأحزاني عليك تطولُ
ولى مهجة قرحى لطول اشتياقها	إليك وأجفاني عليك همول
كفى حزناً أنى أموت صباية	بدائى وأنصارى عليك قليل
وكنت إذا ما جئت جئت بعله	فاغنيت علانى فكيف أقول

فطرب الرجل وصرخ صرخة وضرب بالقربة الأرض فشقها، فقامت الجارية تبكى وقالت: ما هذا جزائى منك يا أبا ريحانة، أسعفتك بحاجتك وعرضتى لما أكره من موالى، قال: لا تغتمى فإن المصيبة على دخلت دونك وأخذ بيدها فتبعته إلى سوق فترع عنه الشملة مستتراً بيديه وباعها واشترى بثمانها قربة دفعها إليها، فاجتاز به رجل من الطالبية، فلما نظر إليه وإلى حالته عرف قصته فقال: يا أبا ريحانة أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، فقال: لا يا صاحبنى ولكنى من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ۝الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، فضحك منه العلوى وأمر له بألف درهم وخلعة.



عريب واليزيدى

قال اليزيدى: خرجنا مع المأمون إلى بلاد الروم فرأيت عريب فى هودج، فلما رأتى قالت: يا يزيدى أنشدنى شعراً، فقلت: نعم حتى أسمع فيه لحناً، فأنشدتها:

ماذا بقلبى من دوام الخفى	إذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأردن أو دمشق	لأن من أهوى بذاك الألقى

فتنفست تنفساً ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه فقلت لها: هذا والله تنفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز أنا عاشق بل أنا معشوقة فى كل ناد، والله لقد نظرت نظرة مريبة فى ذا المجلس.

عريب ومحمد بن حامد

وقع بين عريب وبين محمد بن حامد خصام وكان يجد بها وجداً مفرطاً كادا
يخرجان من شرهما إلى القطيعة، وكان في قلبها منه كما نها عنده من الحب،
فلقيته يوماً فقالت له: كيف قلبك يا محمد، قال: أشقى والله عما كان وأشد
لوعة، فقالت: استبدل بديلاً، فقال لها لو كانت البلوى بالخيال لفعلت، فقالت:
لقد طال إذن تعبك، فقال: وما يكون أصبر مكرهاً أما سمعت قول العباس بن
الأحنف:

تعب يكون مع الرجاء بذى الهوى خير له من راحة في الياس
لولا كرامتكم لما عابتكم ولكتم عندى كبعض الناس
فلما سمعت ذلك ذرفت عيناها واعتذرت وعاتبته واصطلحا وعادا إلى ما كانا
عليه من صدق المودة وحسن المعاشرة.
وكتبت عريب يوماً إلى ابن عامر تستزيه، فأرسل إليها يقول: إنى أخاف على
نفسى، فكتبت إليه:

إذا كنت تحذر ما تحذر وتزعم أنك لا تجسر
فمالي أقيم على صبوتى ويوم لقاتك لا يقدر
فلما قرأ الرقعة سار إليها من وقته وأرسل إليها يعاتبها فى شيء فكتبت إليه
تعتذر، فلم يقبل، فكتبت إليه هذين البيتين:
تينت عندى وما تعذر وأبليت جسمى وما تشعر
ألفت السرور وخليتى ودمعى من العين لا يفتر
فلما اطلع على البيتين ذرفت عيناه وسعى إليها مستسماً ومستجدياً عفوها عما
وقع منه.



سر عاشقة

قال أحدهم: دعاني فتى من أهل المدينة إلى غادة حسناء، فلما دخلنا عليها إذا هي أحسن الناس وجهًا وإذا بها انخراط وجه وسهو وسكوت، فجعلنا نبسطها بالمزاح والكلام ويمنعها من ذلك ما تكتمه، فقلت في نفسي والله إن بها لهيأماً وطائفاً من الحب، فأقبلت عليها فقلت: بالله تصدقيني ما الذى بك، فقالت: برح الذكر ودوام الفكر وخلو النهار وتشوق إلى من سار والذى يرى ما وصفت لك، فإن كنت ذا أدب صرمت العتب عن ذى الكرب واجتهدت فى الطلب لدواء من قد أشرف على العطب كما قال الشاعر:

سيوردنى التذكار حوض المهالك	فلست لتذكار الحبيب بتارك
أبى الله إلا أن أموت صباةً	ولست لما يقضى الإله بمالك
كان بقلبي حين شطت بى النوى	وخلفنى فرداً صدور النيازك
تقطعت الأخبار بينى وبينه	لبعد النوى واستد سبل المسالك

قال فوالله لقد خفت على عقلى أن تسلبه بلفظها الحسن فقلت: جعلنى الله فداءك وهو الذى صيرك إلى ما أرى يستحق هذا منك، فوالله إن الناس لكثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن أو يخف فقد قال أحدهم:

صبرت على اللذات لما تولت	وألزمت نفسى صبرها فاستمرت
وما النفس إلا حين يجعلها الفتى	فإن أطمعت تاقت وإلا تسلت
فأقبلت على فقالت: والله لقد رمت ذلك فكننت كما قال قيس بن الملوح:	
ولما أبى إلا جماحاً فؤاده	ولم يسئل عن ليلى بمال ولا أهل
تسلى بأخرى غيرها فإذا التى	تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

فأسكتنى والله بنواتر حججها عن محاورتها، وما رأيت كمنطقها ولا كشكلها وأدبها وكمال خلقها

بشار بن برد ومحبوبته عبدة

بينما كان بشار بن برد فى مجلسه ذات يوم وكان النساء يحضرنه إذ سمع كلام امرأة أشجاء نغمها وحسن الفاظها، فدعا بسلامه فقال: إني قد علفت امرأة فإذا تكلمت فانظر من هي واعرفها فإذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وأعلمها أنى لها محب وأنشدها هذه الأبيات وعرفها أنى قلتها فيها:

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم
الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
ما كنت أول مشغوف بجارية
يلقى بلقيانها روحاً وريحاناً
يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحياناً
فأبلغها الغلام الأبيات فهشت لها وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكلن عنده
ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطعمه فى نفسها، فقال فيها:
قلت عقيل بن كعب إذ تعلقها
قلبي فأضحى به من حبها أثرُ
إنى ولم ترها تهذى فقلت لهم
إن الفؤاد يرى ما لم ير البصر
أصبحت كالحائم الحران مجتنباً
لم يقض ورداً ولا يرجى له صدر
فصار بعض الأصدقاء يلومونه فى حبها فأنشد يقول:

يزهدنى فى حب عبدة معشر
قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان فى موضع الهوى
ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا
وآلف بين العشق والعاشق الصب

ما سمعه ابن عثام

قال حبيب الواسطى: دخلت يوماً على على بن عثام فوجدته باكياً حزيناَ ذاهب النفس، فأنكرت ذلك وسألته عما دهاه، فقال: اعلم أنى مررت بالخرية فرأيت مجنوناً مصفداً فى الحديد يتمرغ فى التراب ويقول:

ألا ليت أن الحب يعشق مرة فيعرف ماذا كان بالناس يصنعُ
يقولون فز بالصبر إنك هالك وللصبر منى إن أحاوله أجزع

غورك المجنون

قال أبو بكر محمد بن فرحان: لقيت غورك المجنون وفي عنقه حبل قصير
والصبيان يقودونه، فقال لى: يا أبا بكر بمَ يعذب الله أهل جهنم؟ قلت: بأشد
العذاب، قال: صف لى، قلت: ومن يصف عذاب رب العالمين، قال: أنا فى
أشد من عذابه، ثم رفع ثوبه فإذا هو نحل الجسم دقيق العظم فقال لى:

انظر إلى ما فعل الحب لم يبق لى جسم ولا قلب
أنحل جسمى حب من لم يزل من شأنها الهجران والعتب
ما كان أغنانى عن حب من من دونها الأستار والحجب

أبو الأسدى والشاب

قال أبو الأسدى: دخلت دير هرقل فوجدت شاباً حسن الهيئة مكبلاً بالحديد
فسألته عن أمره، فأنشد:

نظرت إليها فاستحلت بنظرتى دمي ودمى غالى فأرخصه الحبُ
وغاليت فى حبى لها ورأيت دمي رخيصاً فمن هذين داخلها العجب

أبو غصن الأعرابى وذات الوجه الصقيل

قال أبو الغصن الأعرابى: خرجت حاجاً فلما مررت بقباء سمعت قوماً ينادون:
الصقيل الصقيل، فنظرت فإذا جارية كأن وجهها سيف صقيل، فلما رميناها

بالحدق ألقى البرقع عن وجهها وتبسمت، فوالله ما رأيت أحسن منها، ثم أنشأت تقول:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابر



ابن أبي داود والجارية

قال سلم بن ربيع: اعترض ابن أبي داود جارية فأعجبته فقال:
ماذا تقولين في من شفه سقم من طول حبك حتى صار حيرانا
فأجابته:

إذا رأينا محباً قد أضرَّ به جهد الصباية أوليناه إحسانا



الحارث بن زهير ولبنى

خرج ذات يوم الحارث بن زهير مع خلان له إلى الصيد والقنص فأوسع بهم في عرض الفلاة حتى وصلوا إلى اليعمودية فلاحته له غزالة في ذلك البر فجذبها في أثرها، فأنتهى به المسير إلى غدير كبير على شاطئه جماعة من البنات الحسان وبينهن جارية بديعة الجمال كأنها هلال جمعت بين لطافة القد وحسن الجيد والاعتدال وكانت تدعى لبني بنت المعتمد، فلما رآها الحارث غلب عليه العشق والجوى واستولى عليه سلطان الهوى، وكانت الغزالة قد دخلت بين البنات فأنشئ نحوهن وسلم ثم قال بصوت لطيف دعى صيدى يا بنت الكرام حتى آخذه وأذهب، فقالت له: خلى عنه أيها الشاب فقد استجار بنا وأعطيناه عهدنا ورمامنا، وكانت لبني تتكلم بقلب يخفق غراماً وصوت يتقطع لوعة وهياماً، ثم قالت له: ما اسمك الكريم؟ قال: الحارث بن زهير سيد بنى عبس، فقالت: نعم الفتى، وبعد ساعة من الزمان ودعهن وسار وقد اشتعل فؤاده من فرط الحب بلهيب

النار، ولما زاد به الشوق باح لسانه بالشعر فأنشد:

سلامى على الوادى ومن حل دونه فقد حملونى فوق ما أنا حامله
مررت به أبغى من الصيد ظبية فعدت وقد صادت فؤادى حباته
وأبقيت قلبى عند سكان أرضه وجسمى على نار الهوى ومراجله
فإن يكُ جسمى قد مضى نحو أهله فإن فؤادى عندكم ويلابله

وما زال يقطع البيداء حتى وصل البيت مساءً، فبات ليله أرقاً بين السهاد وتباريح الغرام، ولما أصبح الصباح أخبر خادمتها بما جرى وما أصبح فيه من قاتل الحب ووكل إليها تدبير الأمر، فقالت: سمعاً وطاعة وذهبت إلى أحيائها فسألت عنها فدلوها عليها فلما رأتها هداً بالها وحدثتها سرّاً بحديث الحارث وما هو فيه من الحب والغرام، فلما سمعت لبنى كلامها أعلمتها بوجودها وغرامها وقالت لها إن رأيت أن تجمعينى به الليلة على شاطئ الغدير، فقالت: حباً وكرامة وذهبت فأعلمت الحارث فكاد يطير من الفرح ولما أمسى المساء سار من فوره إلى الغدير فلما رآها زاد حبه وهاجت أشجانه فأنشد:

أصبحت يا لبنى أسير هواك والقلب يخفق والمتميم باك
قد بت أسهى من هواك ساهراً أرعى النجوم مراقب الأفلاك
أصبحت يا لبنى نحيلاً مغرماً من فرط حبك فامتنى بلفاك
لولاك يا لبنى لما أمسى الهوى بى حاكماً متصرفاً لولاك
قد جئت أصطاد الطبا فى أرضكم فاصطاد قلبى الكحل من عيناك
فارعى عهدى واحفظى شرع الهوى وتيقنى أنى قتيلى هواك
منى السلام عليك يا شمس الضحى فلقى رمانى الحب بالإشراك
وابقى ودومى واسلمى وتعطفى وارعى العهد فمهجتى ترعاك

فما رالا بين شكوى ونجوى إلى أن أصبح الصباح فافترقا متعاهدين على الحب والولاء، وداما على هذه الحال من الاجتماع وبث الأشواق فى ذلك المكان إلى ذات يوم ذهب الحارث فلم ير أحداً فذهل غاية الاندھال وارتاب فى أمر لبنى فسأل عن السبب فقبل له إنهم ساروا إلى بلدة قريبة، فأرسل يسأل عنها ليعلم ما عندها وما يكنه فؤادها، فكتبت له إن ذلك ما كان إلا رغباً عنها وأنها قريباً تعود إليه، فلما بلغ الحارث ذلك الكتاب وقرأ ما به هداً باله وصار ينتظر لقاء الحبيب، فلما

اجتمعت به لبني خفي فؤادها وتنهدت وباحت بما عندها فأنشدت:

لو علمنا مجيئكم لفرشنا مهج القلب مع سواد العيون
وبسطنا حدودنا للقاكم ليكون المسير فوق الجفون
وداما على هذا الحب إلى آخر حياتهما.

ذوالرمة وعصمة بن عبد الملك

قال عصمة بن عبد الملك: ركبت مع ذى الرمة وسرنا حتى أشرفنا على بيوت الحى وإذا بيت مية ناحية فعزمت ذا الرمة فعرضن النساء إلى مية، وجئنا فدنونا وسلمنا ثم قعدنا نتحدث فإذا هى جارية أملود واردة الشعر بيضاء يغمرها صفرة وعليها ثوب أصفر وطاق أخضر، فقلن: أنشدنا يا ذا الرمة، فقال: أنشدهن يا عصمة فأنشدتهن:

نظرت إلى أظعان مى كأنها ذرى النخل أو أثل تميل ذوائبه
فأعربت العينان والصدر كاتم بمخرورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق حال الفراق ولم يحل حوائلها أسرارها ومعائبه
فقال ظريفة منهن: لكن الآن فليحل، فنظرت إلى مية متكرهة، ثم مضيت فى القصيدة حتى انتهيت إلى قوله:

إذا سرحت من حب مى سوارح على القلب وافته جميعاً غرائبه
فقال الظريفة: قتلته قاتلك الله، قالت مية: ما أصحه وهنيئاً له. فتنفس ذو الرمة تنفساً ظننت معه أن فؤاده قد انصدع، ومضيت فيه حتى انتهيت إلى قوله:
وقد حلفت بالله مية ما الذى أقول لها إلا الذى أنا كاذبه
إذن فرمانى الله من حيث لا أرى ولا زال فى أرضى عدو أحاربه
فالتفت إليه، فقالت: خف عواقب الله، ومضيت فى القصيدة حتى انتهيت إلى قوله:

إذا راجعتك القول مية أو بدا لك الوجه منها أو نضا الثوب سالبه
فيا لك من خدٍ أنيلٍ ومنطقٍ رخييمٍ ومن خلقي تعلق جاذبه

فقال الظريفة: أما هذه فقد راجعتك وقد بدا لك الوجه منها فمن لك بأن ينصف الدرع سالبه. فالتفت مية إليها فقالت: قاتلك الله ما أنكر ما تحييين به، ثم تحدثن ساعة فقالت الظريفة للنساء: إن لهذين شأنًا. ثم سارت بنا فلما وصلنا الأبيات دخلت بذى الرمة فلبثت أنتظر فإذا به قادمًا ومعه قلائد لطيفة حلى بها نصل سيفه. فسألته عنها. فقال: هي منها والله.



أبو عثيرة الخياط وأبو محمد الدمشقي

قال أبو محمد الدمشقي: مررت ذات ليلة أيام فتنه المستعين والقمر يزهر بأحياء الشام فإذا أنا بشيخ جليل موشح في إزار أحمر فقلت له: ما اسمك الكريم؟ قال: أبو عثيرة الخياط شهدت حروب ابن زبيدة كلها وحاربت الفتيان في غاية كل ميدان واعترف لي كل فائك وأذعن لي كل شاطر ونزلت تلك الدار عشرين سنة وأرماً إلى سجن بغداد. ثم تنفس للصعداء وأنشد:

لى فؤادٍ مستهام	وجفون لا تنام
ودموع آخر الدهر	على عيني سجام
وحبيب كلما خاطبته	قال سلام
فإذا ما قلت زرنى	قال لى ذاك حرام

ثم بكى. فلما أفاق قلت ما يبكيك؟ قال: وكيف لا أبكى ولى حبيب بالبصرة علقتة وهو ابن سبع عشرة سنة. ثم غبت عنه ثلاثاً وثلاثين سنة. فلما عيل صبرى خرجت إلى البصرة فطفت فى شوارعها حتى رأيتة فما رأيت وجهاً أحسن منظراً ولا أرهى منه ثم أنشأ يقول:

مردد فى كمده	معذب فى سهده
خلا به السقم فما	أسرعه فى جسده
يرحمه لما بدا	من ضره ذو حسده

ثم ودعنى ومضى.



أبو الفضل والجارية

قال أبو الفضل: بينما كنت بالطواف أمام الحجر إذ سمعت حنيئاً يخرج من بين الأستار وقائلاً يقول:

عفا الله عمن يحفظ الود جهده ولا كان عهد الله للناقض العهد
وضعت على الأستار خسدي ليلةً ليجمعني مع من وضعت له خدي
فرفعت الأستار فإذا جارية منفردة كأنها الشمس تجلت عنها غمامة. فقلت: يا
هذه لو سألت الله الجنة مع هذا التصدع والبكاء ما حرمك إياها. فسترت وجهها
وقالت: سبحان من خلق فسوى ولم يهتك الولاية والنجوى. أما والله إنى فقيرة
إلى رحمة ربي وقد سألته أكبر الأمرين عندي رجاء فضله واتكالا على عفوه. ثم
ولت عنى فعجبت من فصيح منطقتها.



مسلم بن جندب وجارية

قال مسلم بن جندب: خرجت مع صديق لى إلى العقيق فلقينا نسوة نازلات
من العقيق لهن جمال وشارة وفيهن جارية خضابية العينين. فلما رآها صديقى قال
لى: يا بن الكرام دم أبيك والله فى ثيابها فلا تطلب أثراً بعد عين وأنشد قول أبى
مسلم بن جندب.

ألا يا عباد الله هذا أنجوكم قتيل فهل منكم له اليوم ثائر
خذوا بدمى إن مت كل مليحة مريضة جفن العين والطرف ساحر
فقلت لى الجارية: أنت ابن جندب. قلت: نعم. قالت: فاغتم نفسك
واحسب أباك فإن قتيلنا لا يودى وأسيرنا لا يفدى.



أبو المهلهل الخزامي ومي

قال أبو مهلهل الخزامي: ارتحلت إلى الدهناء فسألت عن مي صاحبة ذى الرمة فدفعت إلى خيمة فيها عجور هيفاء فسلمت عليها وقلت: أين منزل مي؟ فقالت: ها أنا مي. فقلت: عجباً من ذى الرمة وكثرة قوله فيك. قالت لا تعجب فإنني سأقوم بعذره. ثم نادى فخرجت من الخيمة جارية ناهدة عليها برقع. فقالت لها: أسفري فلما أسفرت تحيرت لما رأيت من حسنها وجمالها. فقالت علقني ذو الرمة وأنا في سن هذه وكل جديد إلى البلاء قلت عذرتي والله وانصرف.



بكر بن النطاح والفتاة

قال بكر بن النطاح في غادة حسناء ألفت الصد والهجران:

فجف جفن العين أو أغمضا	ما ضرها لو كتبت بالرضى
في عاشق يندم لو قد قضى	شفاعه مردودة عندها
تمل منها مثل ما قد مضى	يا نفس صبراً فاعلمي أنها
بلحظة إلا لأن أمرضاً	لم تمرض الأجفان من قاتلي



ابن الجوزي وزوجته

كان لابن الجوزي روجة تسمى نسيم الصبا وكان يحبها حباً شديداً. فاتفق أن يطلقها فحصل له قلق وهيام كاد يشرف به على التلف فحضرت في بعض الأيام مجلساً كان فيه فسر بها واستبشر. فحدث أن جاءت امرأتان وجلستا أمامه فحالتا بينه وبينها فأنشد:

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها

أنس الوجود ومحبوبته ورد

حكى أنه كان لأحد الورراء ابنة بديعة فى الحسن والجمال فائقة فى البهجة والكمال ذات عقل وافر وأدب كامل . وكانت تهوى المنادمة وسماع رقائق الأشعار لركة فؤادها ولطف أخلاقها وظرفها . فبينما كانت يوماً تنظر من شباك قصرها وقع نظرها على شاب نير الوجه ضاحك السن بهى الطلعة حسن السمائل . فوقع حبه فى قلبها وعلدت صبرها فى هواه فرمته للحال بتفاحة كانت فى يدها . فرفع رأسه فرآها فى شباك القصر كأنها البدر فلم يرنو إليها طرفه إلا وهو بعشقا مشغول الخاطر .

فلما بعد عن القصر سألت جاريتها عن اسمه وكانت تعرفه فقالت لها: إن اسمه أنس الوجود وإنها تعرف مكانه . فكتبت له رقعة شرحت فيها حالها وما عراها من حبه وغرامه ، فأخذت الجارية الرقعة وسارت بها إليه فأعطتها له . فلما قرأها كتب فى أسفلها هذه الأبيات:

أعلل قلبى فى الغرام وأكتم	ولكن حالى عن هواى يترجم
فلو فاض دمعى قلت جرح بمقلتى	لثلا يرى حالى العزول فيفهم
وكنت خلياً لست أعرف ما الهوى	فأصبحت صبياً والفؤاد مقيم
رفعت إليكم قصتى أشتكى بها	غرامى ووجدى كى ترقوا وترحموا
وسطرتها من دمع عيني لعلها	بما حل بى منكم إليكم تترجم
رعى الله وجهاً بالجمال مبرقماً	له البدر عبد والكواكب تخدم
على حسن ذات ما رأيت مثيلها	ومن ميلها الأغصان عطفاً تعلم
وأسألکم من غير حمل مشقة	زيارتنا أن الوصال معظم
وهبت لكم روحى عسى تقبلونها	فلى الوصل من والصدود جهنم
فأخذت الجارية الكتاب وأعطته إلى سيدتها . فلما قرأت ذاك الكتاب هاج منها	

الوجد والغرام وكتبت له تقول:

اصبر لعلك فى الهوى تحظى بنا
وأصاب قلبك ما أصاب فؤادنا

يا من تعلق قلبه بجمالنا
لما علمنا أن حبك صادق

ردناك فوق الوصل وصلًا مثله
 وإذا تجلى الليل من فرط الهوى
 وجفت مضاجعنا الجنوب وربما
 الفرض في شرع الهوى كتم الهوى
 فلما فرغت من شعرها طوت الكتاب وأعطته إلى الخادمة. فأخذته وخرجت
 من عندها. فصادفها الحاجب وقال لها: أين تذهبين. فقالت إلى الحمام وقد
 انزعجت منه فوقعت منها الورقة دون انتباه. فبينما كان بعض الخدم يمشى من
 تلك الجهة وقع نظره على الورقة فأخذها وقدمها إلى الوزير فلما قرأها وفهم
 فحواها هاج منه الغيظ والغضب وجاء إلى بته ورد لائمًا مندداً. ثم أمر بعض
 الخدم بإبعادها وأخذ مكانًا لها يكون بعيدًا في البرية. فلما علمت بذلك راد منها
 القلق وكتبت قبل ذهابها هذه الأبيات على باب حجرتها.

بالله يا دار إن مرّ الحبيب ضحى
 أهديه منا سلامًا زاكيًا عطرًا
 ولست أدري إلى أين الرحيل بنا
 في جنح ليل وطير الأيك قد عكفت
 وقال عنها لسان الحال واحربا
 لما رأيت كؤوس البعد قد ملئت
 مزجتها بجميل الصبر معتذرًا
 مسلمًا بإشاراتٍ يحينا
 لأنه ليس يدري أين أمينا
 لما مضوا بي سريعًا مستخفينا
 على الغصون تباكينا وتنعينا
 من التفرق ما بين المحبينا
 والدمر من صرفها بالقهر يسقينا
 وعنكم الآن ليس الصبر يسلينا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون القفار حتى وصلوا إلى مكان
 منفرد أمام شاطئ نهر فنصبوا لها خيمة هناك ووكلوا بها بعض الخدم. فلما أظلم
 الظلام تذكرت حالها وكيف فارقت أطلال الحبيب فسكبت العبرات وأنشدت
 تقول:

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم
 ولوعة البين في الأحشاء قد سكنت
 والوجد أقلقني والشوق أحرقني
 وليس لى حالة في العشق أعرفها
 وجحيم قلبي من النيران قد سعرت
 والشوق حرك ما عندي من الألم
 والفكر صيرني في حالة العدم
 والدمع باح بسر أى مكتتم
 من رق عودي ومن سقمى ومن ألمى
 ومن لظى حرها الأكباد في نقم

ما كنت أملك نفسي أن أودعهم يوم الفراق فيا قهرى ويا ندمى
يا من يبلغهم ما حل بى وكفى أنى صبرت على ما خط بالقلم
أقسمت لا حلت عنهم فى الهوى أبداً بمين شرع الهوى مبرورة القسم
يا ليل سلم على الأحباب مخبرهم واشهد بعلمك أنى فىك لم أنم
أما أنس الوجود فإنه بعد كتابة الأبيات وإرسالها إلى محبوبته ورد الصبر إلى
ثانى الأيام فقام وقصد أبياتها. فسأل عنها الخادمة فأعلمته بالخبر وأطلعت على ما
كُتبت من أبيات على الباب. فلما قرأ تلك الأبيات زاد منه الوجد والقلق وسار فى
عرض القفار لا يرتاح إلى سمير ولا يلذ له كلام. إلى أن رأى رجلاً أهدها إلى
مكانها. فبينما هو سائر إلى حبيبته وقع نظره على حمام الأيك فهاج منه لاجع
الغرام وأنشد:

يا حمام الأيك أقرىك السلام يا أخا العشاق من أهل الغرام
إننى أهوى غزلاً أهيفاً لحظه أقطع من حد الحسام
فى الهوى أحرق قلبى والحشا وعلا جسمى نحول وسقام
ولذيد الزاد قد حرمته مثل ما حرمت من طيب المنام
واصطبارى وسلوى رحلا والهوى بالوجد عندى قد أقام
كيف يهنا العيش لى من بعدهم وهم روحى وقصدى والمرام

أما حبيبته ورد فإنها بينما كانت تخطر حول خيامها إذ رأت موكباً حافلاً من بعد
فدنت منه فإذا فى وسطه أمير خطير فلما وقع نظره عليها عجب من رائق جمالها
وهاله ما رأى فيها من شدة الضعف والهزال فسألها عن حالها وما ألمّ بها. فأعلمته
القصة على التمام وما جرى لها أولاً وآخرًا. فرق لها قلبه وبعث فاسترضى أباهما
وأرسل من يأتى بأنس الوجود. فما مضى إلا القليل حتى صادفوه قريباً من خيام
محبوبته. فلما جاءوا به إليها مالت إليه كغصن البان فضمها إلى صدره وأنشد:

ما أحيلها ليلات الوفا حيث أمسى لى حيبى منصفاً
نصب السعد لنا أعلامه وشربنا منه كأساً قد صفا
واجتمعنا وتشاكينا الأسى ولييلات تقضت بالجفا
ونسينا ما مضى يا سادتى وعفا الرحمن عما سلفا
وعاشا معاً فى الدُّ عيش وأهناً بال.

دعبل الخزاعي والجارية

قال دعبل الخزاعي: كنت جالساً بباب الكرخ إذ مرت بي جارية لم أر أحسن منها ولا أعدل قدماً وهي تشنى في مشيتها وتسبى الناظرين بثنيها. فلما وقع بصري عليها افتنت بها وارتجف فؤادي وآنتت من قلبي ارتحالاً فأنشدت معرضاً بهذا البيت:

دموع عيني بها انقراضٌ ونوم جفني به انقباضٌ
فنظرت إلى واستدارت بوجهها وأجابتنى بسرعة بهذا البيت:
وذا قليل لمن دعته بلحظها الأعين المراضُ
فأدهشتني بسرعة جوابها وحسن منطقتها فأنشدتها ثانياً هذا البيت:
فهل لمولاتي عطف قلبٍ على الذي دمعه مغاضُ
فأجابتنى بسرعة من غير توقف بهذا البيت:

إن كنت تهوى الوداد منا فالود ما بيننا قراضُ
فما دخل أذني قط أحلى من كلامها ولا رأيت أبهج من وجهها فعدلت بالشعر
عن القافية امتحاناً لها وعجباً بكلامها. فقلت لها هذا البيت:
أترى الزمان يسرنا بتلاقٍ ويضم مشتاقاً إلى مشتاقٍ
فتبسمت فما رأيت أحسن من فمها ولا أحلى من ثغرها وأجابتنى بسرعة من
غير توقف بهذا البيت:

ما للزمان وللتحكم بيننا أنت الزمان فسرنا بتلاقٍ



بدور بنت الجوهري وجبير الشيباني

قال علي بن منصور الخليعي: بينما كنت سائراً في البصرة إذا بباب كبير له حلقتان من النحاس فوقفت أنفرج على هذا المكان. فبينما أنا واقف إذ سمعت صوت أنين ناشئ عن قلب حزين فرفعت الستر قليلاً قليلاً وإذا أنا بجارية بيضاء كأنها البدر إذا بدر في ليلة أربعة عشر بحاجيين مقرونين وجفنين ناعسين وشفتين

رقيقتين وفم كانه خاتم سليمان وقد حارت أنواع الجمال بما يفتن النساء والرجال . فلما رأنتى ناظرًا إليها من خلال الستارة مالت إلى جارية لها وقالت: انظري من الباب . فقامت الجارية وأنت إلى وقالت: ما سبب وقوفك هنا . قلت: عطش ألم بي فأمرت سيدتها فجاءت بكور من الماء . فجعلت أشرب وأطيل في شربي وأنا أسارق النظر إليها حتى طال وقوفي . ثم رددت إليها الكور ودمت صامتًا لا أتكلم . فقالت سيدتها وما سبب هذا الوقوف . قلت إننى أفكر بصاحب هذا الدار كيف تقلبت عليه الأيام وقد كان ذا مال جزيل فهل خلف أولادًا . قالت نعم خلف بتًا يقال لها بدور وقد ورثت جميع أمواله فقلت لها كأنك ابته . قالت نعم . قلت فإنى أرى تغيرًا فى وجهك فأخبرينى بسببه فقالت: إن كنت من أهل الأسرار كشفنا لك سرنا فأخبرينى ما هو اسمك . فقلت لها: أنا على بن منصور الخليعى نديم أمير المؤمنين هارون الرشيد . فلما سمعت اسمى نزلت من على كرسيها وسلمت علىّ وقالت مرحبًا بك يا ابن منصور الآن أخبرك بحالى وأستأمنك على سرى أنا عاشقة مفارقة . فقلت لها: يا سيدتى أنت مليحة وما تعشقين إلا كل مليح فمن الذى تعشقينه . قالت: أعشق جبير بن عمير الشيبانى أمير بنى شيان وقد وصفت لى شابًا لم يكن بالبصرة أحسن منه . فقلت لها: يا سيدتى هل جرى بينكما مواصلة أو مراسلة . قالت نعم إلا أنه عشقنا باللسان لا بالقلب والجنان . فقلت لها يا سيدتى وما سبب الفراق بينكما . قالت سببه أنى كنت يومًا جالسة وجاريتى هذه تسرح شعرى فلما فرغت جدلت ذوائبى فأعجبها حسنى وجمالى فطأطأت على وقبلت خدى . وكان فى ذلك الوقت داخلًا على غفلة فرأى ذلك وعاد من وقته مغضبًا عازمًا على دوام البين وأنشد هذين البيتين:

إذا كان لى فيمن أحب مشارك تركت الذى أهوى وعشت وحيدا
فلا خير فى المعشوق إن كان فى الهوى لغير الذى يرضى المحب مريدا
ومن حين ولى معرضًا إلى الآن لم يأتنا منه كتاب يا ابن منصور فقلت لها فما تريدين . قالت أريد أن أرسل إليه معك كتابًا . فقلت لها افعلى ما بدا لك فكتبت إليه هذه الأبيات:

حبيى ما هذا التباعد والقلى فأين التفاضى بيننا والتعطفُ
وما لك بالهجران عنى معرضًا فما وجهك الوجه الذى كنت أعرف
نعم نقل الواشون عنى باطلاً فملت لما قالوا فزادوا وأسرفوا

فإن تكُ قد صدقتهم في حديثهم
بعيشك قل لي ما الذي قد سمعته
فإن كان قولاً صح أئى قلته
وهب أنه قولٌ من الله منزلٌ
وبالزور كم قد قيل في الناس قبلنا
وها أنا والواشى وأنت جميعنا
فحاشاك من هذا ورأيك أعرف
فإنك تدرى ما يقال وتنصف
فللقول تأويلٌ وللقول أحرف
فقد بدلَ التوراة قومٌ وحرفوا
فها عند يعقوب تلومٌ يوسف
يكون لنا يومٌ عظيمٌ وموقف

ثم ختمت الكتاب وناولتني إياه فأخذته ومضيت إلى دار جبير الشيباني فوجدته في الصيد فجلست أنتظره فبينما أنا جالس وإذا به قد أتيل من الصيد. فلما رأيته على فرسه ذهل عقلى من حسنه وجماله فالتفت فرأى جالساً بباب داره فنزل عن جواده وعانقنى وسلم علىّ ثم دخل بي إلى داره وسألنى عن حاجتى. فأخرجت إليه الكتاب.

فلما قرأ ما فيه مزقه ورماه فى الأرض وقال لى: يا ابن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناه إلا هذه الحاجة التى أتيت من أجلها فذهبت حزينا إلى كاتبة السطور وأعلمتها بما جرى أولاً وأخراً. فزاد منها الحزن والقلق ورفعت طرفها إلى السماء وقالت: يا إلهى كما أبلتتى بمحبة جبير بن عمير تبليه بمحبتى وتنقل إليه ما يلقاه فؤادى. ثم إنى عدت إلى حبيها جبير فوجدت داره قد تهدمت بأسرها ولم أجد على بابه غلاماً فظننته مات فحزنت عليه. وبينما أنا أبكى إذا بعد أسود خرج إلى من الدار وسألنى عن هذا البكاء. فقلت له السبب. فقال إن الذى ذكرته حى بحمد الله ولكنه قد بلى بحب غادة حسناء تدعى بدور وهو من أجلها كطيف الخيال. فقلت استأذن لى عليه. فدخل الدار مستأذناً ثم عاد إلى آذناً فدخلت عليه فوجدته كالحجر الطريح فنادت مراراً حتى انتبه فقال لى: مرحباً يا أبا منصور. فقلت له يا سيدى ألك بى حاجة. قال نعم أريد أن أكتب لها ورقة وأرسلها معك إليها ثم كتب هذه الأبيات:

سألتكم بالله يا سادتى مهلاً
تمكن منى حبكم وهواكم
لقد كنت قبل اليوم أستصغر الهوى
فلما أرانى الحب أمواج بحره
علىّ فإن الحب لم يبق لى عقلاً
فألبسنى سقمًا وأورثنى ذلاً
وأحسبه يا سادتى هيناً سهلاً
رجعت لحكم الله أعذر من يلى

فإن شتتم أن ترحمونى بوصلكم وإن شتتم قتلى فلا تنسوا الفضلا
 فأخذت الكتاب ومضيت به إلى دار السيدة بدور فلما رأتنى سلمت علىّ وأخذت
 الكتاب فاطلعت عليه ثم تغرغرت عيناها بالدموع وكتبت إليه هذه الأبيات:

إلى كم ذا الدلال وذا التجنى	شفيت وحقك الحساد منى
لعلى قد أسأت ولست أدرى	فقل لى ما الذى بلغت عنى
مرادى لو وضعتك يا حبيبى	مكان النوم من عينى وجفنى
شربت كؤوس حبك مترعات	فإن ترنى سكرت فلا تلمنى

فأخذت منها تلك الأبيات وقلت لها يا سيدتى إنها لرقعة تداوى العليل وتشفى
 الغليل. ثم أخذت الكتاب وخرجت. فنادتنى بعد الخروج وقالت لى: يا بن
 منصور قل له إنها فى هذه الليلة ضيفك. ففرحت أنا بذلك فرحاً شديداً ومضيت
 بالكتاب إلى جبير بن عمير. فلما دخلت عليه وجدت عينه شاخصة إلى الباب
 ينتظر الجواب. فلما ناولته الورقة فتحتها وقرأها وفهم معناها فصاح صيحة عظيمة
 ووقع مغشياً عليه. فلما أفاق قال: يا بن منصور هل كتبت هذه الرقعة بيدها
 ولمستها أناملها. قلت يا سيدى وهل يكتب الناس بغير الأنامل. فما كدت أتم
 الكلام إلا وقد سمعنا لها وقع أقدام فى الدهليز. فقام على أقدامه كمن لم يكن به
 ألم قط واعتنقا معاً مدة طويلة وعادا إلى سابق الوداد.

الوزير والجارية

رأى وزير من الوزراء جارية حسناء تخطر فى خفيف الثياب فهاج منه لاجع
 الغرام وأنشد:

تبدت فهذا البدر من كلف بها	وحقك مثلى فى دجى الليل حائرٌ
وماست فشق الغصن غيظاً ثيابه	ألسنت ترى أوراقه تتناثر

فسمعه أحد الأدباء فقال:

وفاحت فألقى العود فى النار نفسه	كذا نقلت عنه الحديث المجامرُ
وقالت فغار الدرّ واصفر لونه	كذلك مارالت تغار الضرائر